تدبر سورة التحريم

المحاضرة:16

١ تعريف بسورة التحريم

- سورة التحريم سورة مدنية بلا خلاف.

٢ موضوعات سورة التحريم

- تعرض سورة التحريم نموذجًا لنظام البيت المسلم، وتبين دور الرجل والمرأة في التربية داخل الأسرة. كما تؤكد مسؤولية المسلم عن نفسه وأهله
- 1- عتاب النبي ﷺ وخصوصية بيته.
- 2- الأمر بالتوبة: أمر الله زوجات النبي ﷺ بالتوبة من العودة إلى مثل هذا الفعل.
- 3- مسؤولية الأسرة في التربية: تأكيد مسؤولية المسلم عن تربية نفسه وأهله.
- 4- يضرب الله مثالًا بالملائكة في طاعتهم الكاملة، وذلك دعوة للالتزام بطاعة الله.
- 5- بيان عاقبة الكافرين ومصير من كفر وضل، والدعوة إلى التوبة وبيان فضلها.
- 6- تذكر السورة نماذج مختلفة من النساء.

(الآية 1):

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾

١ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾

- بيان شرف النبي ﷺ وقدره عند الله، فيناديه بصفة النبوة حتى عند العتاب.
- قد ينادي الناس غيرهم بالألقاب عند الإكرام ويتركونها عند العتاب، أما الله سبحانه فينادي النبي ﷺ بصفة النبوة والرسالة حتى في العتاب.

٢ ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾

أي أن النبي ﷺ حرّم على نفسه شيئًا بسبب غيرة الزوجات.

- ورد في ذلك روايتان:
- الرواية الأولى: حديث العسل: روى البخاري في كتاب الأيمان والنذور عن عبيد بن عمير قال: سمعت عائشة رضي الله عنها تزعم أن رسول الله ﷺ كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلًا. فتواطأت أنا وحفصة على أن أيَّتنا دخل عليها النبي ﷺ فلتقل له: إني أجد منك ريح مغافير، أكلت مغافير؟ فدخل النبي ﷺ على إحداهما فقالت له ذلك. فقال: "لا، بل شربت عسلًا عند زينب بنت جحش، ولن أعود له."
وفي رواية: "بل شربت عسلًا ولن أعود له، وقد حلفت، فلا تخبري بذلك أحدًا."
وكان الكلام مع عائشة رضي الله عنها. فنزلت الآية.
- الرواية الثانية: كانت مارية من ملك اليمين للنبي ﷺ، فحين عرفن زوجاته أنه يأتيها، وخاصة حفصة رضي الله عنها غارت، فحرّم النبي عليه الصلاة والسلام إتيان مارية وحلف على ذلك إرضاء لهن.

٣ الجمع بين الروايتين

- ذكر العلماء احتمالين في الجمع بين الروايتين:
الطريقة الأولى: اعتماد الرواية الأصح، وهي رواية عائشة مع قصة زينب والعسل، عند عامة العلماء، وقد ذكرها ابن كثير ولم يذكر الرواية غيرها.
الطريقة الثانية: احتمال أن الحدثين (العسل وملك اليمين) وقعا معًا، فارتبط سبب نزول الآية بالحدثين معًا.
- والأرجح والله أعلم أن سبب النزول هو قصة العسل مع زينب.
- مكانتهما في قلب النبي ﷺ: السيدة عائشة كانت الأحب إلى قلب النبي ﷺ، ثم تليها زينب، بدليل قولها عنها : "هي التي تساميني من زوجاته". أي تقاربني في المنزلة عنده.

٤ فضل زينب بنت جحش

- سأل النبي زينب في حادثة الإفك: يا زينب ما تعلمين عن عائشة؟ فقالت: يا رسول الله، أحمي سمعي وبصري، والله ما علمت عليها إلا خيرًا.
قالت عائشة: وهي التي كانت تساميني، فعصمها الله بالورع.
- حكمة النبي ﷺ وتغاضيه عن هفوات زوجاته بدافع الحب، وصبره على غيرتهن، مما يعكس أخلاقه العالية ورقته في معاملة أهله.

٥ ﴿تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ﴾

- كان النبي ﷺ ، رغم مكانته يسعى في إرضاء زوجاته مما يدل على كمال خلقه.

٦ مواساة الله لنبيّه وتطييب خاطره

- كان الله سبحانه يواسي نبيه ﷺ ويجبر خاطره ويؤنسه ويدافع عنه، وقد ورد ذلك في القرآن الكريم تعظيمًا لمقامه وتطييبًا لقلبه.
فعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: "يا رسول الله، ما أرى ربك إلا يسارع في هواك."
- مع عظمة مقام النبي صلى الله عليه عند الله، إلا أنه كان شديد التواضع، يصبر على غيرة زوجاته ويسعى لإرضائهن بلطف، فهنيئًا لمن اقتدى به وجعل حسن معاملة أهله وإرضاءهم من أولوياته.
- السيادة الحقيقية لا تعني التسلط بل تعني حسن الخلق والرفق بالزوجة، وإكرامها ومعاملتها بلطف والسعي لإرضائها، اقتداءً بالنبي ﷺ.
- قد يتحمل الزوج من زوجته ما لا يتحمله من غيرها، لأن العلاقة بينهما تقوم على المودة والصبر والتغافل.

تدبر سورة التحريم

المحاضرة:16

٧ من كمال خُلقه ﷺ

- كان مثالًا عظيمًا في سعة الصدر، وحسن المعاملة، والحلم والرفق. ومن ذلك:رغم ما وقع من غيرة عائشة رضي الله عنها، بقيت لها مكانة عظيمة عنده، وقد قال: "فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام"،
- وكان إذا سُئل: من أحب الناس إليك؟ قال: عائشة. وهذا يدل على عظيم حلمه ﷺ وتجاوزه عن الزلات اليسيرة، ولين جانبه، وحسن معاشرته لأهله
- وأيضًا عفوه عن حاطب بن أبي بلتعة حين همَّ بإفشاء سر النبي ﷺ كما ورد في سبب نزول سورة الممتحنة، فعفا عنه لأنه شهد بدرًا. ففي الحديث القدسي قال الله تعالى:"اعملوا ما شئتم؛ فقد غفرت لكم".
- رغم ما وقع من أمهات المؤمنين إلا أنه لا ينقص من فضلهن شيئاً.

٨ ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

- بيان لسعة مغفرة الله تعالى وتجاوزه عن ذنوب عباده.
- قدرة النبي ﷺ على تهدئة المشاعر الثائرة، واحتواء الأزمات الطارئة وعلاجها، وتفادي الأضرار المحتملة.

(الآية ٢):

﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾

١ ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾

- كان النبي ﷺ قد حلف يمينًا، فسمح الله تعالى له بالتحلل منه بإخراج الكفارة، والعودة لما يحب.

٢ عِظَم مكانة النبي ﷺ و وجوب تعظيمه

- إن مقامه ﷺ عند الله عظيم، ولذلك شرع الله للمؤمنين آدابًا خاصة في التعامل معه تعظيمًا له وحفظًا لحقه، ومن ذلك ما ورد في الآيات الكريمة:
1- قال تعالى:(إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ)
عتاب إلهي لهما، حيث "صَغَتْ قُلُوبُكُمَا" تعني مالت قلوبكما عن الصواب، وبيّن أن الله وملائكته والمؤمنين ناصرون لنبيه.
2- حُرمة رفع الصوت عند النبيﷺ
قدر النبي ﷺ عند الله لا يعلمه إلا الله.

(الآية ٣):

﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾

أي أن النبي ﷺ أسر إلى بعض زوجاته حديثًا، وأوصاها بعدم إفشائه.

١ كيفية التعامل مع المشكلات الزوجية

- من أهم أساليب حل المشاكل بين الزوجين أن يكون الحوار هادئًا وعلى انفراد بعيدًا عن الناس.
أن يكون العتاب بين الزوجين فقط دون إشراك الآخرين
- أن يتم الحوار بأسلوب لطيف كما كان هدي النبيﷺ في تعامله مع زوجاته.
- كان النبي ﷺ مثالًا في الرقيّ واللطف حتى في العتاب، كما قال تعالى:(فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ، وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ)
فعاتب بلطف؛ بيّن بعضه وأعرض عن بعض، لم يغضب أو ينفعل.

٢ الاعتدال في العتاب والمروءة

- من آداب التعامل بين الزوجين وأي خلافات عامة عند العتاب، عدم ذكر كل التفاصيل، بل يكتفي بعرض الموضوع إجمالًا للتصحيح دون إعادة إشعال المشاعر السلبية، فالهدف هو حل المشكلة لا تعقيدها.
- وقد فعل النبي ﷺ ذلك عند عتابه لعائشة رضي الله عنها في موقف الغيرة، فاكتفى بعرض الموضوع إجمالًا دون ذكر كل التفاصيل، مروءة منه.
- قال معاوية رضي الله عنه:"ثلث العقل في الفطنة، وثلثا العقل في التغافل."
- وقال الإمام أحمد: "تسعة أعشار العافية في التغافل."
- إن التغاضي والتغافل أساس الحياة الناجحة فالحياة مليئة بزلات صغيرة يومية؛ التسامح عنها يحفظ العلاقات.

تدبر سورة التحريم

المحاضرة:16

٣ فاعرة في الحياة

- قال أبو تمام: "ليس الغبي بسيد في قومه لكن سيد قومه المتغابي"
أي أن المتغاضِي محبوب ومقدَّر.
- ليس كل التغافل محمود؛ فالتغافل ليس التجاهل، بل التركيز على الأمور الجوهرية وتجاوز الزلات البسيطة والصغائر، الحزم مطلوب عند الأمور المؤذية ولابد من الموازنة بين التسامح والحزم لمنع الكبت والانفجار النفسي.

٤ الفرق بين التغافل والكبت

- التغافل: غض الطرف بنية حسنة، مع المروءة والشهامة للحفاظ على المودة والود والحفاظ على الكرامة.
- الكبت: كتم المشاعر وتجاهلها دون حلها، مما يؤدي إلى تراكم الانفعالات وانفجارها لاحقًا.

(الآية 4):

﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٞ﴾

١ ﴿صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ﴾

- أي زاغت ومالت.
- قال العلماء: مالَت لأنهن أحببن شيئًا يكرهه النبيﷺ
أي فارقن النبي فيما يميل إليه.
- اتباع النبي ﷺ في الميول والسلوك واجب، والانحراف عن ذلك يُسمى زاغًا وميلًا.
- إلا أن ما حدث كان ميلًا مؤقت بسبب الغيرة والحب بين الزوجين في أمور بسيطة يُسامح فيها.

٢ ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٞ﴾

- إذا ظهر خلاف أو مظلمة ضد النبي ﷺ ، فإن الله يدافع عنه، وتنزل الملائكة وجبريل وصالح المؤمنين لنصرته، ليعظم مكانته ويظهر محبتنا واتباعنا لسُنته.
- صلاحك بقدر نصرتك للنبي ﷺ ودفاعك عنه.
ظَهِيرٌ: عونٌ له وذخيره.

(الآية 5):

﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا﴾

١ ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ﴾

- عسى: من الله واجبة، من باب بيان العزّة والقدرة، وهو يفعل ذلك، هذا يُظهر عزّة الله الملك القادر.
- عسى: لو قالها الناس تفيد الترجي، أي رجاء الله تعالى وقدرته على تبديل الأحوال.
فإذا حدث بالفعل وتفاقم الموضوع، فإن الله يأمره بأن يطلقكن.
- ويبدله الله زوجاتٍ خيرًا منكن، وقد تابت أمهات المؤمنين رضي الله عنهن.

٢ صفات المرأة الصالحة

- (مُسۡلِمَٰتٖ): أي منقادة لله، خاضعة لطاعته.
- (مُّؤۡمِنَٰتٖ): عقيدة سليمة، إيمان قوي بالله واليوم الآخر.
- (قَٰنِتَٰتٖ): المواظبات على العبادة.
- (تَٰٓئِبَٰتٖ): السريعة في التوبة إذا أخطأت.
- (عَٰبِدَٰتٖ): أي كثيرات العبادة.
العبادة تُرقق القلب وتعين المرأة على أداء دورها في الاحتواء والرعاية داخل الأسرة والمجتمع، فتجعلها أكثر صبرًا ورحمة وحسن خلق، فالعبادة تُهذب القلب وتوازن العلم، وتزيد اللطف والتواضع والرحمة.
- (سَٰٓئِحَٰتٖ): صائمات باتفاق السلف.
- (ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا): من باب التوسعة على النبي ﷺ.
الثيّب: هي التي سبق لها الزواج.
البكر: هي التي لم يسبق لها الزواج.

تدبر سورة التحريم

المحاضرة:16

٣ مواقفات عمر بن الخطاب رضي الله عنه للقرآن

- وهو الذي قال فيه رسول الله: "لقد كان فيمن كان قبلكم من الأمم محدثون، فإن يكن في أمتي أحد فعمر"
- فكان رضي الله عنه من أكثر الصحابة فهمًا للقرآن
- وقد وافق رأيه الوحي في عدة مواقف، منها: يوم أشار على النبي ﷺ لاتخاذ مقام إبراهيم مصلى فنزل قوله تعالى:(وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى).
- قوله للنبي ﷺ: "هلا أمرت نساءك بالحجاب فإنهن يدخلن عليهن البر والفاجر"، فنزلت آية الحجاب في سورة الأحزاب.
- قوله للنبي عليه الصلاة والسلام: "يارسول الله وددت لو أنزل الله أمرًا شافيًا في الخمر"، فنزل تحريمها.
- وقوله في شأن زوجات النبي ﷺ: (عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا)وهذا يدل على عمق فقهه وقوة بصيرته في فهم الدين.

(الآية 6):

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾

١ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا)

- احفظوا أنفسكم بفعل ما أمركم الله به وترك ما نهاكم عنه، واحفظوا أهليكم بما تحفظون به أنفسكم، بتأديبهم وتعليمهم، وإجبارهم على أمر الله.
- أي لا يمنع التسامح أو اللطف الإنسان من تربية أهله بالحق.
- من صور عقوق الآباء لأبنائهم إهمال تعليمهم أمور دينهم، وتركهم يعتادون المعصية دون توجيه أو تقويم، بل قد يصل الأمر إلى معاونتهم على اتباع الشهوات وتيسير أسبابها لهم.
- قال النبي ﷺ: «كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته». لن ينصلح الظل والأصل أعوج، فلا تظلم نفسك وغيرك.

٢ ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾

- الناس: البشر الذين يُرَمون فيها.
- الحجارة: قيل: إنها الأصنام. وقيل: حجارة الكبريت التي تزيد النار اشتعالًا، كما ورد عن بعض الصحابة.

٣ ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾

- أي ملائكة غلاظ وشداد على الكفار بأمر الله، لا يعصون الله ما أمرهم، مثالًا للصالحين في الطاعة التامة.
- يجب على الإنسان أن يقتدي الملائكة في الطاعة ويسترشد بسلوكهم في الطاعة ويجتنب المعصية.
- استحضار الملائكة: كما يستحيي الإنسان من فعل المعصية أمام الناس الصالحين، فعليه أن يستحيي أكثر من الملائكة الذين لا يفارقونه ويكتبون أقواله وأعماله بأمر الله. وهذا الاستحياء يدفعه إلى ترك الذنوب والحرص على الطاعة.

(الآية 7):

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

- أي أن الاعتذارات لن تُقبل يوم القيامة، وكل إنسان مسؤول عن أعماله.